جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم اللغة العربية

الجـموع

محاضرة لطلبة الدراسات العليا
مادة (النحو)

ا.د. عماد حميد احمد

*

الجموع

الجموع في العربية على نوعين : جمع سالم وجمع تكسير ، وجمع التكسير له أوزان كثيرة تبلغ سبعة وعشرين وزناً وقد يكون للاسم الواحد عدة جموع نحو كافر وكفار وكفرة وكافرين وساجد وسجد وسجود وساجدين وراكب وركاب وركبان ، فما تفسير هذه الظاهرة ؟ وهل تختلف معاني الجموع باختلاف الاوزان ؟

إن القرآن الكريم استعمل الساجدين مثلاً والسجد والسجود واستعمل الكفار والكفرة والكافرين وغيرها من الجموع المختلفة فهل دلالات هذه الجموع المختلفة واحدة ؟

ان النحاة لم يفسروا هذا الامر تفسيراً كاملاً فلم يفرقوا لنا بين فعال جمع فاعل وفعلة جمع فاعل مثلاً كالطلاب والطلبة : ولم يخبرونا بالفرق بين فعلاء وفعال جمع فعيل كضعفاء وضعاف جمع ضعيف وغير ذلك من الاوزان المختلفة .

يذهب النحاة الى أن أهم اسباب الاختلاف تعود الى اختلاف اللغات ، وإلى دلالة الجمع على القلة أو الكثرة ، أو تعود الى اختلاف المعاني بأن تكون اللفظة مشتركة بين معنيين فيجمع كل معنى على وزن كالخيلان جمع الخال الذي هو الشامة والأخوال جمع الخال الذي هو أخو الام ، وربما فرقوا في ألفاظ قليلة بين جمعين لمفرد واحد غير مشترك كالركبان والركاب جمع راكب وكالعباد والعبيد جمع عبد .

إننا نرى أن الاوزان المختلفة لها معان مختلفة فلا نرى أن (فعلة) في دلالته على الجمع كفعال فالكتاب ليس بمعنى الكتبة تماماً ، ولا نرى أن (فعلا) كالفعلان فالعمي ليس بمعنى العميان تماماً ولولا اختلاف المعنى ما كان اختلاف الاوزان .

إن اهم الاسباب لاختلاف أوزان الجموع ما يأتي :

١- إختلاف لغات العرب : وهو من الأسباب المهمة لاختلاف الجموع وذلك كالأقوس والاقواس جمع قوس ، والأمكنة والأمكن جمع مكان ، والفسال والفسول جمع فسل ونحوها ، قال سيبويه في (قوس) ان جمعه أقواس ((وقد قال بعضهم في هذا الباب حين أراد بناء ادنى العدد افعل فجاء به على الاصل وذلك قليل ، قالوا : قوس وأقوس .... وقالوا زوج وأزواج وزوجة وثور وأثوار وثورة وبعضهم يقول ثيرة)) .

وذكر أن تميماً قد تخفف فعلاً كحمر جمع حمار وخمر جمع خمار فتقول حمر وخمر وقال : ((وقد قال بعض العرب أمكن كأنه جمع مكن لا مكان لأنا لم نر فعيلاً ولا فعالاً ولا فعالاً ولا فعالاً يكسرن مذكرات على افعل)) ، وذكر ان فسلاً يجمع على فسال ثم قال : ((وسمعنا من العرب من يقول : فسل وفسول فكسروه على فعول كما كسروه عليه إذ كان اسماً)) وقال : ((وبلغنا أن بعضهم يقول : جبل واجبل)) .

وقد جعل بعضهم السبب الأول في تعدد الجموع تعدد اللغات بل كاد يحصره به ، يقول الدكتور إبراهيم السامرائي : ((وكثرة صيغ جموع التكسير في العربية تسترعي التأمل والنظر بحيث لا نستطيع ان نفسر ذلك بغير القول بتعدد اللهجات)) ، غير أنه يقول في مكان آخر من الكتاب نفسه ((والنظر في الاساليب يدل على أن العربية خصت صيغة جمع بمفرد معين في الدلالة على مادة من المواد كما خصت صيغة جمع آخر بالمفرد نفسه في الدلالة على مادة أخرى ، فالعين وهي الباصرة قد جمعت في القرآن على (أعين) وعين الماء قد جمعت في القرآن نفسه على عيون)) .

والحقيقة أن هذا ليس مما خصت به العربية صيغة الجمع وإنما هو مما خص به القرآن الكريم قسماً من الجموع في الاستعمال فقد خص إستعمال الحمير مثلاً حيث وردت بالحمر الاهلية قال تعالى (والبغال والحمير لتركبوها – النحل ٨) وقال : (إن أنكر الاصوات لصوت الحمير – لقمان ١٩) وخص الحمر بالوحشية قال تعالى (كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة – المدثر ٥٠ ، ٥١) والقسورة الأسد .

ومن ذلك ما خصه باستعمال الموتى والأموات والميتين جمع ميت فاستعمل الموتى لمن أصابهم الموت حقيقة وقد وردت (الموتى) سبع عشرة مرة في القرآن الكريم بهذا المعنى ومن ذلك قوله تعالى (وإذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى – البقرة ٢٦٠) وقوله (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى – الانعام ١١١) وقوله (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى – القيامة ٤٠) .

واستعمل الأموات لمن ماتوا حقيقة ولغيرهم أي للموت المعنوي قال تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم – البقرة ٢٨) وقال : (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون . أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون – النحل ٢٠ – ٢١)

وقال (ولا تقربوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون – البقرة ١٥٤) وقال (ألم نجعل الارض كفاتاً أحياء وأمواتاً – المرسلات ٢٥، ٢٦) وقال : (وما يستوي الاحياء ولا الاموات – فاطر ٢٢) .

٢- إن العربي قد يضطره شعر أو سجع الة ان يستعمل اكثر من جمع لمعنى واحد او ان يأتي بلفظ على غير قياس فإن لغة الشعر لغة خاصة وأن العرب قد ((يخرجون الكلم عن أوضاعها لغرض الازدواج فيقولون – مثلاً – آتيك بالغدايا والعشايا مع أن فيه ارتكاباً لما يخالف اللغة)) .

جاء في (لسان العرب) : ((وقالوا إني لآتية بالغدايا والعشايا والغداة لا تجمع على الغدايا ولكنهم كسروه على ذلك ليطابقوا بين لفظه ولفظ العشايا فإذا أفردوه لم يكسروه)) .

٣- اختلاف المعنى : قد يكون للكلمة الواحدة أكثر من معنى بأن تكون اللفظة مشتركة فيفرق بينها في الجموع أو يكون معناها واحداً غير مشترك ولكن جموعها تختص بمعان مختلفة وذلك نحو الربيع فإن ربيع الكلأ يجمع على (أربعة) ويجمع ربيع الجدول على (أربعاء) ، ويجمع خال الرجل على أخوال والخال في الجسد على خيلان ، والخف يجمع على خفاف وأما خف البعير فإنه يجمع على أخفاف ، والركبان جمع راكب لا يكون الا لركاب الابل أما الركاب فانه يكون لركاب الخيل والسفينة وغيرها ، والسماء بمعنى المطر يذكر ويؤنث والاغلب عليه التأنيث والجمع في القلة على (أسمية) وفي الكثرة على (سمي) كفعول ، وأما السماء المظلة فهي مؤنثة لا غير وجمعها سماوات لا غير ، والكعاب والكعوب جمع (كعب) فالكعوب للرمح والكعاب للإنسان وغيره .

٤- القلة والكثرة : وهو سبب آخر من أسباب اختلاف الجموع وأمثلة القلة : (أفعل) كأشهر و (أفعال) كأشياخ و (أفعلة) كأغربة و (فعلة) كشيخة وفتية .

وزاد الفراء (فعلة) كقوله (هم أكلة رأس) أي قليلون يكفيهم ويشبعهم رأس واحد، قيل : ((وليس بشيء إذ القلة مفهومة من قرينة شبعهم بأكل رأس واحد لا من ‘طلاق فعلة)) .

ونقل التبريزي أن منها (افعلاء) كأصدقاء ، غير أن الجمهور على الامثلة الاربعة الاولى .

كما أن الجمع السالم بنوعيه يفيد القلة عندهم كالسنبلات والسنابل والجفنات والجفان والزيدين والزيود فالسالم يفيد القلة والتكسير يفيد الكثرة .

اسم المرة والهيئة

استعملوا (فعلة) للمرة من الثلاثي كقولهم قعدت قعدة وأتيت آتية وربما جاؤا بها على المصدر مضافاً إليه تاء الوحدة نحو أعطى إعطاءه واستدرج استدراجة .

ويؤتي للهيئة بـ (فعلة) كقتلة سوء و ((كقولنا فلان حسن الركبة والجلسة يراد بذلك انه متى ركب كان ركوبه حسناً وإذا جلس كان جلوسه حسناً في أوقات ركوبه وجلوسه وان ذلك عادته في الركوب والجلوس وحسن الطعمة أي ذلك فيه موجود لا يفارقه)) .

وقد يكون كل من فعلة وفعلة مصدراً كسائر المصادر كالرحمة والشدة ، وهذان الوزنان أعني فعلة مراداً به المرة وفعلة مراداً به الهيئة لا ((يوجد نظيرهما في كل اللغات السامية)) .

المفعلة :

تجيء ((المفعلة لسبب الفعل كقوله عليه الصلاة والسلام (الولد مبخلة مجبنة محزنة) ومنه قولهم : (ترك العشاء مهرمة) أي مدعاة الى الهرم .

وقيل : بل تأتي لسبب كثرة الفعل فقوله (الولد مجبنة مبخلة) يدل على سبب كثرة الجبن والبخل .

التفعلة :

وتجيء لما يؤدي الى الشيء كالتهلكة وهي ((ما يؤدي الى الهلاك)) وكالتبصرة وهي ما يؤدي الى الابصار والتذكرة ما يؤدي الى التذكر والله اعلم